



ترى لو اجتمعت إحدى عشر امرأة فى مكان ما يتحدثن عن عالم الرجال ، والجو صحو ، والسماء صافية ، والجلسة عائلية ، وكل امرأة تشعر بالأمن والراحة ، ورفع من جلستهن ثوب الخجل ، والصمت عن أسرار الأزواج .. فصارت كل واحدة منهن تبث ما فى نفسه من إحساس ، وتنقل ما يخالجها من شعور سواء أكان بغیضا أم كريما نحو بعضها .

وليس غريبا عل النساء أو بمستغرب هذا الأمر ، فكثيرا ما يفعلن هذا الأمر ولا حياء !! ولكن الأغرب والأعجب أن يسجل هذا الحديث ، وينقل عبر وسيلة آمنة صادقة ، لا تزيد حرفا أو تنقص حرفا ، ينقل بمصداقية وأمانة ، كما نقل القرآن من رسول السماء (جبريل) إلى البشر من خلال سيد البشرية جمعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ترى ماذا دار فى حديث هؤلاء النسوة ؟ وما الذى يثيرهن فى عالم الرجولة الخشن ؟ وما الذى يثير اشمزازهن وكراهيتهن ؟ .

هذا ما سنعرفه من هذا الحديث الشائق الذى روته أم المؤمنين عائشة فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اجتمعت إحدى عشرة امرأة فى الجاهلية فتعاهدن أن يتصادقن بينهن ، ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ..

[١] فقالت الأولى : زوجى لحم جهل غث .. على رأس جبل وعمر .. لا سهل فیرتقى ، ولا سمين فینتقى (زوجها مثل الجمل الهزيل المسن ، وهو ليس سهل المنال فهو على قمة جبل عال فى طريق وعمر .. من الصعب أن تصل إليه لتستخدمه ، وهو ردىء وضعیف ولا يستحق الإصرار والمجازفة لتحصل عليه) .

[٢] قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره إني أخاف أن لا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبحره (زوجها لن تتحدث عنه ولا عن أخباره أو أسرارها ، فهو شخص عجيب ملىء بالعيوب والطبائع السيئة فأى شىء تذكر وأى شىء تدع) .

[٣] قالت الثالثة : زوجى العشنق إن أنطق أطلق ، وإن أسكت أعلق (زوجها رجل متطلع طويل .. سىء العشرة ، إن تحدثت عنه وعلم طلقها ، وإن لم تتكلم

علقها ، فهي ليست بالمتزوجة السعيدة ولا بالملقة الوحيدة) .

[٤] قالت الرابعة : زوجي إن أكل لف ، وإن شرب اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف ، ليعلم البث (زوجها رجل ذو نهم شديد ، يأكل بشراسة حتى تمتلئ معدته ، وإذا شرب أفرغ كل ما في الكوب من شراب ، وإذا نام غطى نفسه جيدا وأدار ظهره لها ، ولا تمتد يده إلى من هي بجواره ليداعبها !!) .

[٥] قالت الخامسة : زوجي عيائ طباقاء ، كل داء له داء شجك أو فللك أو جمع كلا لك . (زوجها رجل عاجز ربما ماديا وربما جنسيا أو كليهما ، وأحق أيضا في سلوكه ، ويجمع كل الرذائل أو النقائص التي يعد أحدها مفردا داء أو عيبا ، وإذا ضربها فتح رأسها أو كسر لها أحد ضلوعها ، وإذا مازحها أعابها .. فلأي بلاء أشد من هذا الرجل .. !!) .

[٦] قالت السادسة : زوجي كليل قمامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سامة . (زوجها رجل مختلف عن كل ما سبقوه في حديث زميلاتها فهو رجل معتدل في مناخه وأفكاره وسلوكه . ليس بالحر الساخن ، ولا بالبارد شديد البرودة ، بل هو ربيعي أو خريفي المناخ والطقس ، وهي تحب معاشرته بلا خوف أو ملل) .

[٧] قالت السابعة : زوجي إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد . (زوجها كالفهد في بيته يحب كثرة الرقاد وقيل كثير الجماع لها ، وهو كالأسد الشجاع الهمام خارج البيت يهابه الجميع ، وهو رجل كريم ينفق بسخاء وليس في حاجة إلى نصيح أو إرشاد للاهتمام بأهله أو بنفقته عليهم) .

[٨] قالت الثامنة : زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وأنا أغلبه ، والناس يغلب . (زوجها لين الجانب ، رقيق الطبع ، لا يغضب ولا يصخب ، ولطبعه اللين الكريم ، فهي تكاد تغلبه بدعائها وذكائها وتجعله يطيعها فيما تريد بينما هو قادر على أن يغلب الناس ولا يغلب منهم) .

[٩] قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . (زوجها ركل كريم ، على الهمة ، شريف النسب وهو رجل شجاع يملك سيفاً طويلاً ، شديد البأس عند اللقاء رغم كثرة ضيوفه فهو كريم معهم لا تنطفئ لداره نار من كثرة الزوار ، يلبي نداء المستغيث ، همام يمد العون لمن يحتاج إليها) .

[١٠] قالت العاشرة : زوجي مالك ، وما مالك ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل

قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، إذا سمعن صوت المزاهر أيقن أنهن هوالك .
(زوجها يدعى مالك ، وهو فى نظرها خير من كل الرجال الذين سمعت عنهم
وعن أحوالهم مع نسائهم ومع عشائرتهم ، وهو رجل عظيم الكرم ذو ثراء واسع
وكرم أوسع ، فإنه لا تفرح ولا تسرح ، بل هى ترقد فى انتظار الضيوف لتدبح ،
وهى تعرف أن صوت المزاهر يعنى نهاية حياتها ، واقترب موعد ذبحها ، فياله من
كرم ... !!

[١١] قالت الحادية عشر : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ، أناس من حلى
أذن .. وملا من شحم عضدى ، بجحنى فبحجت إلى نفسى ، وجدنى فى أهل غنيمة
بشق ، فجعلنى فى أهل سهيل وأطيط ، ودانس ومنق ، فعنده أقول ، فلا أقبح ،
وأرقد فأصبح ، وأشرب فأتمصح ، أم أبى زرع ، وما أم أبى زرع ؟ عكومها رداح
، وبيتها فساح .. ابن أبى زرع ، وما ابن أبى زرع ؟ مضجعه كمسل شطبه ،
وتشبعه دراع جفرة .. بنت أبى زرع وما بنت أبى زرع ؟ طوع أبيها وأمها وملاء
كسائها ، وعطف رداها ، وزين أهلها ، وغيظ جارها .. جارية أبى زرع ، وما
جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثنا ولا تنقث ميرتنا تنقثنا ولا تملأ بيتنا تعشيشا .
خرج أبو زرع ، والأوطاب تمخض ، فمر بامرأة معها ابنان لها كالفهدين ، يلعبان
من تحت خصرها برمانتين ، فطلقنى ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سوريا ، ركب
شريا وأخذ خطيا وأراح على نعمتا ثريا ، وأعطانى من كل رائحة زوجا ، فقال :
كلى أم زرع وميرى أهلك ، فلو جمعت كل شىء أعطانيه ، ما ملأ أصغر إناء من
آنية أبى زرع . (زوجها يدعى أبو زرع ، وتبدأ حديثها بسؤال استفهام لإثارة
الجالسات للحديث عنه لعظمته عندها ، وهو رجل ذو معدن أصيل نفيس ، كريم
ودود ، ثرى وسخى ، أعطى زوجته كل ما كانت تحلم به وما لم تحلم به سواء من
حلى أو طعام أو شراب ، أو راحة واستقرار ، واحترمها وقدرها حتى استمدت من
خلاله ثقته بنفسها وقدرت نفسها ، وتعترف المرأة بفقر أهلها وضيق ذات يدهم
، وسعة رزق ومال زوجها ، وتقر بفضلها فى تلك النقلة من حال البؤس والشقاء
إلى حيث النعيم والرخاء وكثرة الخيل والإبل ، ومن خصال زوجها الكريمة أنها
تتحدث بتلقائية مفرطة فلا يلتصم لحديثها العثرات أو يقبح لها قولا رغم تفاهته
أو حتى سخافته ، وتنام حتى الصباح دون أن يلومها فهناك الخدم الذين يقومون
بكل أعباء البيت وتنظيفه وخدمته ، وتشرب من كافة أنواع المشروبات والفواكه
حتى الثمالة دون أن تلام ، وتتحدث المرأة عن والدة زوجها فتذكرها بخير هى
الأخرى ولا تعتب عليها ، فهى امرأة ثرية ، لديها أثاث بيت عظيم ، ودارها

فسيحة واسعة، ولأنها محبة لزوجها فهي حين تتحدث عن أبنائه لا تقول ابنتى أو ابنتى بل تنسبهم إليه وحده، فتقول عن الولد بأنه : إذا رقد نام كالسيف المسلول بلا اعوجاج أو الخناء ، وإذا أكل فهو يأكل قليلا من اللحم فهو ليس بشره .

أما ابنة أبى زرع ، وهى ابنتها كذلك فهي ابنة مطيعة هادئة ، لطيفة الجانب ، تطيع أباهما ، وأما ، ممتلئة الجسد ، جميلة المنظر ، هى كالعروس أو البدر فى البيت ، ولجمال خلقها وخلقتها فإن جارتها دوما تغتاز منها .

أما الجارية "الخادمة" فهي نشيطة ، ونظيفة هى الأخرى ، أمينة على الأسرار لا تنقل ما تسمع من داخل البيت لأحد مهما كان ، ولا تسرق شيئا ، ولا تدع البيت مهملا فتعشعش فيه العنكبوت والعتة ، بل هو دوما فى أجمل منظر وأتم نظافة ، ولم تستمر الحياة الزوجية مع زوجها على هذا المنوال من الهدوء والاستقرار والروعة والجمال حتى فلجأتها الأيام بما لم يخطر لها على بال ، فقد خرج زوجها ذات يوم فرأى امرأة ذات خصر جميل ومعها ولدان فأعجبته فتزوجها وطلق أم زرع .. !! . وبا لروعة الحب والإخلاص لا تدمه ولا تسبه ولا تعيبه ، بل تروى الحدث وكأن شىء طبيعى فى مسلسل أحدث حياتها رغم خطورته ألا وهو طلاقها دون سبب !! . وتتابع أم زرع قصتها فتقول : إنها هى الأخرى تزوجت رجلا آخر بعد أبى زرع ، وكان هو الآخر ثريا ، ولديه فرس شجاع ، وقد أكرمها هو الآخر وأعطاها من كل شىء زوجين وقال لها : كلى ما تشائين وصلى أهلك بلخير والبر . ورغم عطاء الزوج الجديد فهو لا يعدو أن يكون شيئا صغيرا مثل أصغر إناء من آنية أبى زرع كانت تأكل فيه أو تملكه ذات يوم .. !! وهذا كناية عن شدة إعجابها وحبتها ووفائها لعشرة أبى زرع ، وربما يعود ذلك للمثل القائل "ما الحب إلا للحبيب الأول" أو ربما يعود لكثرة أفضل وعظم خصال أبى زرع المادية والمعنوية معا ، وأنه كان أول من انتشلها من بئر الفقر والحرمان وأذاقها طعم النعيم والأمان .

فقال النبى ﷺ : "يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع إلا أن أبا زرع طلق .. وأنا لا أطلق"^(١) . (وهنا يختم الرسول الكريم ﷺ والزوج الحنون قصة هؤلاء النسوة اللاتى اعترفن سرا بقوله لعائشة أم المؤمنين وأحب زوجاته إلى قلبه مداعبا لها : وأنا لك كأبى زرع فى كرمه وعطائه وحسن معاملته ولطف معاشرته ،

(١) أخرجه الترمذى — كتاب الشمائل رقم (٢٥) .

وإن كان أبو زرع قد فجع أم زرع بطلاقها فأنا لن أفجعك في ولن أفارقك .
• كانت جارية من بنات الملوك تكره الزوج ، فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن
التزويج وقلن لها : ما يمنعك من التزويج . قالت : وما فيه من الخير ؟ قلن وهل
لذة العيش إلا في التزويج ؟ قالت : فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من
الخير حتى أسمع .

فقالت إحداهن : زوجي عوى في الشدائد ، وهو عائدى دون كل عائد . إن
غضبت عطف ، وإن مرضت لطف . (زوجها رجل عظيم ، خير ملاذ لها عند
الحاجة . تأمن في صدره إذا خافت ، وتشبع من طعامه إذا جاعت ، وتشرب من
حبه إذا ظمأت وتسكن آلامها عنده إذا توجعت ، وإذا غضبت يوما لا يقابل
غضبها بعنف بل يلقاه بصبر ولطف .. !! وإذا مرضت عنده عاما عاملها بعطف
فياله من نبل وكرم !!

قالت الثانية : زوجي لما عناني كافي ، ولما أسقمني شافي ، عرقه المسك المطروق ،
وعنقه كالخلد ، ولا يمل طول العهد . (زوجها حصنها الحصين ، وملجؤها الأمين
مهما أتاه الزمان بعجائب أو مصائب أو غرائب ، فزوجها قادر بمشيئة الله على
معالجة أو مواجهة كافة صنوف البلاء وحمايتها ووقايتها ، هو دواؤها من كل داء ،
وهي تعشقه وتحب رائحة عرقه وآثار جهده كأنها المسك والطيب ، وحين تكون
بين ذراعيه تشعر كأن الدنيا بين يديها والسعادة والهناء والخلود قد بسطت فرشها
تحت قدميها ، هو خير أنيس وجليس عندها ، وهي لا تمل يوما ولا يملها .
فقالت الجارية : هذا خير منه .

قالت الثالثة : زوجي الشعار حين أبرد ، وأنيسى حين أفرد . (زوجها إذا
أرعدت الدنيا من حولها ، وإذا اشتدت البرودة في طقسها ، وإذا أظلمت الدنيا في
وجهها ، فإنها تجد في معاشرته زوجها حبا ودفئا ، وفي جلسته أنسا ولطفا ، وفي رقة
كلماته إشراقا وضوءا ..

فقررت ابنة الملك حينئذ - وقد أسعدها ما تنادى إلى أسماعها من أخبار طيبة عن
الحياة الزوجية ومباهجها في كنف زوج محب لزوجته مقدر لمشاركتها له في الحياة -
أن تتزوج من فورها . وبعد فترة من الزواج .. سألت هؤلاء النسوة تلك الأميرة :
كيف رأيت التزويج إذن ؟

قالت : أنعم نعيم ، وسرور لا يوصف ، ولذة ليس منها خلف .